

بسم الله الرحمن الرحيم

م ٤ / التفسير التحليلي

كلية العلوم الاسلامية / جامعة بابل

م . د ميثاق عباس هادي

قسم علوم القرآن ٢٠٢٣/١٠/٢

م ٢ / نشأة التفسير التحليلي وتطوره

إن معرفة نشأة التفسير التحليلي ترجع لدراسة تاريخ التفسير عموماً ، فقد مرَّ التفسير بمراحل منذ عصر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتَّى ظهور مصطلح التفسير التحليلي على الساحة العلمية المعاصرة ، ويمكن القول أن التفسير التحليلي مرَّ بمراحل من النشوء إلى الإرتقاء فالظهور بمنهج متكامل له أصوله وخطواته وآلياته ومصادره وفوائده ، ويمكن القول أن التفسير التحليلي مرَّ بمراحل وهي:

المرحلة الأولى : مرحلة التفسير بالمشافهة والتلقي :

وهي مرحلة اعتمدت على تفسير القرآن الكريم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتلقي والشافهة ، و بدأت هذه المرحلة من زمنه (صلى الله عليه وآله وسلم) وانتهت بانتهاء عصر الصحابة ، وقد كان التفسير أحد مسؤولياته الاساس في تربية وتنظيم الدولة ، قال تعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

وفي هذه المرحلة لم يكن التفسير كاملاً بل قليلاً ، و حسب الحاجة والضرورة ولا سيما في آيات الاحكام ، وذلك لكونهم كانوا أهل لغة وفصاحة يفهمون كلام الله تعالى فيما يتعلق بآيات الاخلاق والعقيدة .

واستمر هذا المنهج في التفسير عند الامامية حتى القرآن الثالث الهجري في زمن الامام الحسن بن علي المعروف بالعسكري (ت ٢٦٠هـ)، فقد كانوا يأخذون التفسير مشافهة عن الائمة (عليهم السلام)، وأما عند السنة فقد استمر عندهم إلى عصر الصحابة ،وقد ركز هذا التفسير في المدرستين على مسائل موجزة وهي :

١- بيان معنى الكلمة ودلالة الفاظ القرآن الكريم.

٢- بيان الحكم الشرعي.

٣- بيان مصداق الآية الحقيقي.

(١) النحل: ٨٩.

٤- بيان سبب نزول الآية .

٥- بيان تأويل القرآن واسراره المستقبلية وهو من مختصات الامامية.

ولم يدون في عصر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) التفسير، وإنما بقي محفوظا في الصدور ، ولعل السبب في ذلك لعدم الحاجة اليه بحسب تصورهم لكونه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان موجودا بينهم ، فضلا عن معرفتهم بالقراءة والكتابة وكانت لغة المشافهة هي الغالبة في نقل المعارف القرآنية والشرعية ، نعم روي أن الامام علي (عليه السلام) كان يكتب تفسير معانيه وبيان اسباب نزوله وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه .

المرحلة الثانية : النشأة والظهور : وهي مرحلة اعتمدت على كشف دلالة الالفاظ ومعاني القرآن من قول الشعر العربي ، وهذه المرحلة ظهرت في عصر الصحابة ، وهي البذرة الاولى والتكوينية لنشوء التفسير التحليلي ، قال الدكتور حسين الذهبي (ت ١٣٩٨ هـ) : «وهم كانوا يعتمدون في ذلك على اربعة اساليب وهي قوة الفهم و وسعة الادراك، و معرفة عادات العرب والرجوع الي ديوانهم، و معرفة اوضاع اللغة العربية ولهجاتها، ومعرفة احوال اهل الكتاب في جزيرة العرب عند نزول القرآن » (٢) .

ويمكن عد هذه المرحلة الاولى في عملية التحليل للنص القرآني اعتمادا على الاصل اللغوي لكشف المعنى ودلالة الآية ، ويمكن أن نعبر عنها بأنها بداية لظهور التفسير الاجمالي للنص القرآني . وقد كان لابن عباس (ت ٦٠ هـ) السبق في هذا الميدان ببركة دعاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) له بقوله: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» (٣) ، ومن الشواهد على ذلك ما روي ان رجلا جاء الى عبد الله بن عمر يسأله عن قوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (٤) فقال اذهب إلى ابن عباس فسله ثم ارجع فاخبرني فذهب فسأله فقال: "كانت السموات رتقا لا تمطر و كانت الارض رتقا لاتنتبت ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات" فرجع الى ابن عمر فاخبره فقال: "قد كنت اقول ما اعجب جرأة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن قد علمت انه اوتي علما" (٥) .

(١) التفسير والمفسرون : ١ : ٢٩. لناشر: مكتبة وهبة، القاهرة

(٢) روى الامام أحمد في مسنده : ١ : ٢٦٦ ، من حديث سعيد بن جبير. ابن عباس " أن رسول الله وضع يده على كفي أو على منكبي - شك سيد - ثم قال: اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ". انظر ، الخرسان ، محمد مهدي ، موسوعة عبد الله بن عباس: ٦ : ٤٤ .

(٣) الانبياء: ٣٠ .

(٤) الرازي ، محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت ٣٢٧ هـ) ، تفسير ابن ابي حاتم : ٨ : ٢٤٥٠ . المحقق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ

وفي مجال استشهاده بالشعر لبيان معاني الفاظ القرآن يكفي ما اشتهر عنه في مسائل نافع ابن الازرق التي بلغت عنه المائة^(٦). ومن هذا يظهر أن بدايات التحليل اللغوي للنص بدأ في عصر الصحابة على يد ابن عباس وهي اضافة للتفسير الروائي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ويمكن القول إن هذه المرحلة بدأت في زمن الصحابة في عصر التابعين في مجموعة من المدن الاسلامية وكان في المدينة المنورة وعلى راسهم أمير المؤمنين الامام علي (عليه السلام) وتلميذه ابن عباس ، وأبي ابن كعب وبعد شهادة الامام علي (عليه السلام) انتقل إلى مكة المكرمة واصبح رائد التفسير فيها في المسجد الحرام يلقيه على التابعين ، و اشهر رجال هذه المدرسة سعيد بن جبير (ت ٩٥ هـ) ، و مجاهد (ت ١٠٤ هـ)، و عكرمة (ت ١٠٥ هـ)، و طاوس بن كيسان (ت ١٠٦ هـ)، و عطاء بن ابي رباح (ت: ١١٤ هـ)^(٧) .

وأما مدرسة العراق (الكوفة) فقد كان لعبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) الاثر البالغ و هو اول الاساتذة لهذه المدرسة في زمن عمر بن الخطاب حينما ارسله اليهم فأقام بالكوفة برهة من الزمن و كانوا يفضلون الاستماع اليه على غيره فكان يلقي عليهم دروس القرآن و اشهر رجال هذه المدرسة الحسن البصري (ت: ١١٠ هـ) و قتادة بن دعامة السدوسي (ت: ١١٧ هـ) و غيرهم^(٨).

المرحلة الثالثة: اتجاهات التفسير التحليلي :

تطور التفسير التحليلي بلغ ذروته العلمية ،وظهرت فيه اتجاهات متعددة بسبب الظروف الحاكمة على المسلمين ولحاجتهم الضرورية لمعالجة مشاكل الحياة ، فقد اتسع التفسير التحليلي وتنوع عند المفسرين وازدادوا عناية به ويمكن تقسيم الاتجاهات التفسير التحليلي إلى :

الاول : الاتجاه الفقهي : وهي المرحلة التي حاولت التركيز على موضوع محدد في تفسير القرآن كما في التفسير الفقهي ، والمعروفة بآيات الاحكام وفقه القرآن ، كما في تفسير احكام القرآن للجصاص (ت ٣٧٠ هـ) ، و احكام القرآن لابن العربي (ت ٥٤٣ هـ)، و احكام القرآن للكلية (ت ٥٠٤ هـ)، وفقه القرآن للروندي (ت ٥٧٣ هـ) ، وكنز العرفان في فقه القرآن للمقداد السيوري (ت ٨٢٦ هـ)، وزيد الاحكام للشيخ احمد الاردبيلي (ت ٩٩٣ هـ)ومن المعاصرين

(٦) بنت الشاطي ، عائشة محمد علي عبد الرحمن (ت ١٤١٩ هـ)، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: ٢٠٩ الناشر: دار المعارف، الطبعة: الثالثة.

(٧) مناهج المفسرين، القسم الاول: ٧٢-٧٣ .

(٨) دراسات في التفسير، ص: ٧٥-٧٦ .

كما في تفسير و روائع البيان في تفسير آيات الاحكام للشيخ محمد علي الصابوني (ت ١٤٤٣هـ).

الثاني : الاتجاه الكلامي : دخلت المسائل الكلامية بقوة في التفسير وكان لها الاثر في تحليل النص القرآني ، والسبب في ذلك لاثبات المسائل العقائدية والمذهبية ، كما نجده في تفسير التبيان للطوسي (ت ٤٦٠هـ) ، وتفسير مجمع البيان للطبرسي (ت ٥٤٨هـ) ، وتفسير مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، ومن المعاصرين تفسير الميزان للطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ).

الثالث : الاتجاه اللغوي: وقد اعتمد هذا الاتجاه في تحليل النص القرآني المسائل اللغوية والنحوية والصرفية ، ويرجع هذا الاهتمام لكون القرآن نزل بلغة العرب^(٩) ، بما أن لغة الغراب ليست واحدة فقد اختلف في تفسير دلالة الكلمة القرآنية وتحليلها^(١٠) ، ومن اشهر الكتب المؤلفة بهذا الاتجاه كتاب مجاز القرآن لابي عبيدة معمر بن المثنى (ت ١٠٩ هـ) ، غريب القرآن لابن قتيبة (ت: ٢٧٦ هـ) ، و اعراب القرآن لابي جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) ، و غرر الفوائد و درر القلائد لعلي بن طاهر الملقب بالشريف المرتضي (ت ٤٠٦ هـ) ، و المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) ، و الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ) و البحر المحيط لابي حيان الاندلسي (ت ٧٤٥ هـ)

الرابع : الاتجاه الادبي: هو عبارة عن محاولة للوقوف علي الصورة الفنية في القرآن حيث تناول الادباء والبلغاء هذه الناحية في تفسير القرآن وجعلوا النصوص القرآنية موضوع الدراسة الادبية^(١١) ، و من اشهر الكتب المؤلفة بهذا الاتجاه كتاب من «منهل الادب الخالد» للاستاذ محمد المبارك و «التفسير البياني» للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي) ، وللدكتور محمود البستاني (ت ١٤٣٢هـ).

الخامس: الاتجاه العلمي: مرحلة التفسير التحليلي العلمي : هو عبارة عن التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن و يجتهد في استخراج مختلف الآراء الحديثة و يكشف

(٩) انظر ، الخفاجي ، حكمت عبيد ، منهج التفسير التحليلي : ١٠٠. الناشر: مؤسسة الصادق الثقافية ، بابل ، ط١- ١٤٣٩هـ.

(١٠) انظر ، الجنابي ، سيروان عبد الزهرة ، مناهج تفسير النص القرآني: ٤٤ ، نشر: الدار البيضاء ، بغداد ، ط١ ، ١٤٣٦هـ .

(١١) الجنابي ، سيروان عبد الزهرة ، مناهج تفسير النص القرآني: ، نشر: الدار البيضاء ، بغداد ، ط١ ، ١٤٣٦هـ .

العلوم التجريبية والفلكية والفلسفية (١٢) ، و من اهم الكتب المؤلفة بهذا الاتجاه جواهر القرآن للطنطاوي (ت ١٣٥٨هـ).

الخامس : الاتجاه الاجتماعي : مرحلة التفسير التحليلي الاجتماعي: هو عبارة عن الكشف عما تضمنه القرآن الكريم من اسس الحياة الاجتماعية و مبادي ء التشريع و نظريات العلوم كتفسير الجواهر للطنطاوي و المنار للشيخ رشيد رضا و في ظلال القرآن للسيد قطب (ت ١٣٨٦هـ) (١٣) ، ومثله تفسير الامثل للشيخ مكارم الشيرازي من المعاصرين في قم المقدسة .

ويرجع هذه التنوع في الاساليب التفسيرية الى الضرورة الحاكمة على بيئة المفسر والظروف الاجتماعية والسياسية والى قدراته وتخصصه العلمي ، مما دعا الى تنوع التفسير واختلاف الاسلوب في تحديد اتجاهات فكرية في تفسير القرآن الكريم وتحليل النص القرآني والغور في اعماقه لاستخراج موضوعات تناسب الواقع المعاصر وتطلعات وحاجات الامة الاسلامية .

نتائج المحاضرة :

الذي يظهر من هذا السرد التاريخي لمراحل التفسير التحليلي يظهر أن التفسير التحليلي المعاصر هو منهج تفسيري تطورت الياته نتيجة الحاجة والبيئة العلمية التي كان يعيشها المفسر والامكانيات العلمي نتيجة لتطور الفكر الاسلامي وتوسع ثقافة المفسر .

ويمكن ملاحظة نشأة وتطور منهج التفسير التحليلي من الاطلاع على مناهج المفسرين من النشأة حتى الوقت المعاصر وماهي الظروف التي اوجبت تمسك المفسر بهذا المنهج عند ذلك سنلاحظ تطور التفسير التحليلي واركانه ومصادره والفوائد منه والاليات التي اعتمدها المفسر واختلاف المفسرين في التمسك بالأدلة ومحاولات الترجيح بين الاقوال التفسيرية التي يجدها في التفسير . ويمكن تحديد مراحل التطور في التفسير التحليلي بما يلي:

١- التفسير في بيان المعنى اللغوية وغريب القرآن الكريم .

٢- ظهور تفسير القرآن بالقرآن على يد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد طبق هذا المنهج في تفسيره في بيان معنى (الظلم) حينما سأل عن معنى قوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الانعام : ٨٢) فأجاب صلى الله عليه وآله وسلم

(١٢) امين الخولي، التفسير معالم حياته . منهجه اليوم ، لبنان: دار الكتب اللبناني ١٩٩٢، ص: ١٩- ٢٠ .
(١٣) الذهبي، التفسير والمفسرون : ٢: ٤٠١ .

بالاستناد الى الآية «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» (لقمان: ١٢)^(١٤)، فقد بينت المقصود من الظلم في الآية الأولى، وهو الشرك المذكور في الآية الثانية، والذي هو من الكبائر.

٣- استعمال المعاني اللغوية في تفسير القرآن و البلاغية والادبية .

٤- استعمال العقل في تفسير آيات العقيدة وتفسير المتشابهة بالمحكم .

٥- الاستدلال بالقراءات القرآنية واسباب النزول وبيان الحجة فيها على رأي المفسر.

والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله الطاهرين

(١٤) انظر ، مجمع البيان في تفسير القرآن : ٤ / ٥٠٦ .